الفصل الثامن

الحضارة الإسلامية في الأندلس

(٩٢ - ٨٩٧ هـ) / (٧١١ - ١٤٩٢ م)

بالتوازي التاريخي ؛ يرجع تاريخ الإسلام في الأندلس (معظم أسبانيا / وجزء كبير من البرتغال حاليا) الى سنة (٩٢هـ / ٧١١م) .. عندما فتحها **طارق بن زياد** بالتعاون مع **موسى بن نصير** من قِبَـل الدولة الأموية في عهد **الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان** . ثم واصل " **عبد الرحمن الغافقي** " ـ الذي ولاه هشام بن عبد الملك بن مروان على الأندلس سنة ١١٢ هـ ـ أعمال الفتح في أوربا حتى وصل بالقرب من باريس إلى أن أوقفه التحالف الصليبي و هزمه في معركة " **بلاط الشهداء** " في ١٥ شعبان سنة ١١٤ هـ (٧٣٢ م) ، **والتي سميت بهذا الاسم** .. لكثرة عدد شهداء المسلمين ، وفيها قتل عبد الرحمن الغافقي أيضا وكانت هذه المعركة آخر خطوات المد الإسلامي في اتجاه أوربا . أو على الأقل اخر خطواته المشهورة . ثم توقف المد الإسلامي عند هذا الحد واستمرت الدولة الأندلسية بعد ذلك ـ بين قوة وضعف ـ عبر ثمانية قرون من الزمان .. توالى على حكمها ستة عصور تاريخية كما هو مبين في الجدول رقم ١ .

وبعد سقوط الدولة الأموية انتقلت الأندلس إلى حكم الدولة العباسية سنة (١٣٢هـ / ٧٥٠ م) لمدة ست سنوات فقط .. استردها ـ بعد ذلك ـ " **عبد الرحمن الداخل** "[١] **الملقب باسم** " **صقر قريش** " في سنة (١٣٨هـ / ٧٥٦ م) ، فأعاد بناء " **الدولة الأموية** " من جديد في الأندلس .. وقام بأعمال عسكرية كثيرة حتى يوطد حكمه وجعل **قرطبة** عاصمة للدولة الأندلسية ، كما بدأ يسيطر على ما حولها من مدن الأندلس . وكان **لعبد الرحمن الداخل** جهود

---

١ هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الملقب بـ صقر قريش . ولقب بالداخل لأنه أول من دخل الأندلس من ملوك الأمويين .. بعد أن استطاع الهروب ـ مع من تجمع حوله ـ من جنود العباسيين . وكان يحكم الأندلس في ذلك الوقت يوسف بن عبد الرحمن الفهري نيابة عن العباسيين .

حضارية متميزة ، فقد جمل مدينة قرطبة وأحاطها بأسوار عالية ، وشيد بها المباني الفخمة والحمامات والفنادق ، كما أنشأ جامع قرطبة الذي لا يزال ينطق حتى الآن بالعظمة والجلال .

جدول رقم ١ : العصور التي توالت على حكم الأندلس

مسلسل	العصر	فترة العصر	كلمة موجزة عن العصر
١	عصر الولاة	٩٥ – ١٣٨ هـ ٧١٤ – ٧٥٦ م	بداية الدولة الأندلسية على يد طارق بن زياد بالتعاون مع موسى بن نصير . كان الوالي على الأندلس يعين من قبل الخليفة الأموي للمسلمين .
٢	الدولة الأموية بالأندلس	١٣٨ – ٤٢٢ هـ ٧٥٦ – ١٠٣١ م	اعتبارا من هذا العصر لم يعد لخليفة المسلمين سلطان على تعيين الولاة .. وإن كانوا يتبعون دولة الخلافة الإسلامية بالاسم فقط .
٣	عصر ملوك الطوائف	٤٢٢ – ٤٨٤ هـ ١٠٣١ – ١٠٩٢ م	ملوك الطوائف يحكمون الأندلس بعد سقوط الدولة الأموية . انقسمت الأندلس إلى ٢٢ دويلة
٤	المرابطون بالأندلس	٤٨٤ – ٥٤٠ هـ ١٠٩٢ – ١١٤٦ م	أزال يوسف بن تاشفين حكم ملوك الطوائف . قام بتوحيد الدولة الأندلسية من جديد . انتصر على الصليبيين في معركة الزلاقة .
٥	الموحدون بالأندلس	٥٤١ – ٦٣٣ هـ ١١٤٧ – ١٢٣٦ م	تنسب إلى محمد بن تومرت ، أسقط تلاميذه دولة المرابطين . انتصروا على الصليبيين في معركة الأرك . هزمهم الصليبيون في معركة العقاب التي مهدت للسقوط الأخير .
٦	دولة بني الأحمر – تكوين مملكة غرناطة	٦٣٦ – ٨٩٧ هـ ١٢٣٩ – ١٤٩٢ م	انحصر الوجود الإسلامي في جنوب أسبانيا فقط وعاصمتها غرناطة

قوي أمر المسلمين في الأندلس في عهد **هشام بن عبد الرحمن الداخل** ، ومن بعده **عبد الرحمن بن هشام** الملقب بالأوسط ؛ حيث استتب الأمر في عهده وساد النظام ، فانصرف إلى العلم والبناء ، والاهتمام بشئون الدولة . **ودخل في عهده الكثير من النصارى في الإسلام .**

ويعد فترة حكم **عبد الرحمن الثالث الناصر** أزهى عصور الأندلس جميعًا ، فقد حكم الأندلس لمدة خمسين عامًا أثبت خلالها أنه أكفأ الحكام ، وأحرز نجاحًا تامًا في ميدان السياسة والحضارة فكانت قرطبة في عهده تضاء بالمصابيح ليلا لمسافة ١٦ كم ، وكانت مبلطة ومحاطة بالحدائق الغناء .

وقد بلغت الدولة الإسلامية في الأندلس أوج عظمتها في عهد أميرها **عبد الرحمن الناصر أشهر حكام الدولة الأموية في الأندلس وباني قصر الزهراء** . وقد تعاقب على الدولة الأموية عشرة حكام (بما في ذلك عبد الرحمن الداخل) هم على الترتيب :

جدول رقم ٢ : حكام الدولة الأموية في الأندلس

مسلسل	الحاكم	فترة الحكم
١	عبد الرحمن الداخل (صقر قريش)	١٣٨ – ١٧٢ هـ
٢	هشام الأول بن عبد الرحمن الداخل	١٧٢ – ١٨٠ هـ
٣	الحكم بن هشام	١٨٠ – ٢٠٦ هـ
٤	عبد الرحمن ــ الأوسط ــ بن هشام	٢٠٦ – ٢٣٨ هـ
٥	محمد بن عبد الرحمن	٢٣٨ – ٢٧٣ هـ
٦	المنذر بن محمد	٢٧٣ – ٢٧٥ هـ
٧	عبد الله بن محمد	٢٧٥ – ٣٠٠ هـ
٨	عبد الرحمن (الثالث) الناصر بن محمد أقوى من حكم منذ عبد الرحمن الداخل	٣٠٠ – ٣٥٠ هـ
٩	الحكم بن عبد الرحمن	٣٥٠ – ٣٦٦ هـ
١٠	هشام الثاني بن الحكم	٣٦٦ – ٣٩٩ هـ

وفي سنة ٣٥٠ هـ مات **عبد الرحمن الناصر** ، فتربع على عرش الأندلس من بعده ولده الحكم بن عبد الرحمن الناصر ، ثم حفيده هشام الثاني بن الحكم (وكان حدثا صغير السن) فتسلط عليه **الحجاب وأبرز هؤلاء الحجاب المنصور محمد بن عبد الله بن أبي عامر** ، الذي حكم باسم الأمويين بمعونة أم الخليفة " **صبح** " وتمكن من تحويل الخلافة لنفسه ولأبنائه لمدة قصيرة مكونا خلالها الدولة المنسوبة إليه ، **والمسماة بالدولة العامرية** . ثم عادت أمور الأمويين إليهم فترات قصيرة قلقة ، إلى أن انتهى أمرهم سنة ٤٢٢ هـ ، وعلى أنقاضهم قامت

مجموعة من الدويلات الهزيلة عرف **عهدها بعهد أو عصر ملوك الطوائف** ، الذي كان من أكثر عهود المسلمين في الأندلس تفككا وضعفا وانحدارا نحو هاوية السقوط .. **فقد كانت المنازعات بينهم من أكبر أسباب ضياع الأندلس ..!!!**

• عصر ملوك الطوائف (٤٢٢ ــ ٤٨٤ هـ) ما أشبه اليوم بالبارحة ..

بدأ عصر ملوك الطوائف بالأندلس سنة (٤٢٢هـ / ١٠٣١ م) عندما أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور سقوط الدولة الأموية بالأندلس **لعدم وجود من يستحقها** ، وكان هذا الإعلان بمثابة إشارة البدء لكل أمير من أمراء الأندلس ليؤسس أسرة حاكمة من أهله وذويه ، وبناء دويلة صغيرة على أملاكه ومقاطعاته ويعلن نفسه ملكا عليها ..!!! **فانقسمت البلاد لدويلات صغيرة (٢٢ دويلة) ، وبرزت العصبيات والقبليات المقيتة ، وظهرت لأول مرة فكرة الاستعانة بنصارى أسبانيا في الصراع بينهم الذين وجدوا في ذلك فرصة ذهبية للنيل من المسلمين .. وبهذا دخلت الأندلس النفق المظلم الذي لم تخرج منه بعدها أبداً** . وقد بلغت هذه الأسر الحاكمة أكثر من عشرين أسرة أهمها الدول التالية :

جدول رقم ٣ : أشهر دول ملوك الطوائف في الأندلس

مسلسل	الـــدولة	العاصمة	فترة الدولة
١	**دولة بن عباد**	إشبيلية	٤١٤ – ٤٨٤ هـ
٢	دولة بنو جهور	قرطبة	٤٢٢ – ٤٤٩ هـ
٣	دولة بنو حمود	مالقة	٤٠٧ – ٤٤٩ هـ
٤	**دولة بنو زيري**	غرناطة	٤٠٣ – ٤٨٣ هـ
٥	دولة بنو هود	سرقسطة	٤١٠ – ٥٣٦ هـ
٦	دولة بنو رزين	السهلة	٤٠٢ – ٤٩٧ هـ
٧	**دولة بنو ذو النون**	طليطلة	٤٠٠ – ٤٧٨ هـ
٨	دولة بنو الأفطس	بطليوس	٤١٣ – ٤٨٧ هـ

كان ملوك الطوائف ملوكا ضعافا في كل شيء ضعافاً في دينهم وفي وطنيتهم غلبت عليهم الأثرة والأهواء الشخصية إلى أبعد الحدود ونسوا في غمارها دينهم ووطنهم بل نسوا

حتى الكرامة الشخصية واستساغوا لأنفسهم أن يتراموا على أعتاب ملوك النصارى لا لشيء إلا لهوى اقتطاع بلد أو حصن من جاره المسلم إضافة إلى أنهم كانوا مع رعيتهم طغاة مستبدين في منتهى القسوة مع الخسف بالمغارم والضرائب [٢] ..!!! وأهم مظاهر هذا العصر هو ..

١- حالة الترف الشديد والتنعم المفسد الذي ضرب في كل طبقات الشعب الأندلسي من كبيرهم إلى صغيرهم من غنيهم إلى فقيرهم وما استتبع ذلك من ضعف القوى الأندلسية حتى صار رجال الأندلس أنعم من الكواعب الغواني (على حد ذكر المؤرخين) ، وأصبح جل هم الرجال والنساء إنشاد الأشعار والغناء للأسحار والسعي وراء الأبكار .

٢- اقتتال الدويلات فيما بينهم وقيام المعارك الطاحنة بين المسلمين بعضهم بعضاً من أجل أطماع شخصية ومكاسب مادية لا تساوى عند الله ــ عز وجل ــ جناح بعوضة .

٣- شيوع المنكرات والمجاهرة بأنواع الفسوق ، وانتشار عادات مذمومة مثل شرب الخمر وظهور نساء الطبقة الراقية سافرات بالطرقات ، كما اتخذت السرقة أشكال العصابات المنظمة .

٤- التوسع في الاستعانة بنصارى أسبانيا في شمال الأندلس بسبب كثرة الاقتتال الداخلي بين المسلمين ، وكل فريق من المتنافسين يستعين بإمارة صليبية بعد التنازل عن بعض أملاكه للصليبيين ــ هي في الواقع أملاك المسلمين كلهم ــ مع دفع الأموال الطائلة من أجل أن يهزم أخاه المسلم ..!!! وعلى سبيل المثال ؛ كان ألفونس أمير النصارى يفرض الإتاوات على الإمارات التي تطلب مساعداته . ولهذا كانت الفرصة السانحة لكى يقوى شأن النصارى الإسبان ..!!!

وأكثر ملوك دول الطوائف لا يستحقون الذكر ــ بل يستحقون الازدراء واللعنة ــ لأنه لم تكن لهم أي أعمال جليلة قاموا بها ما عدا دولة بنى عباد التي أسسها القاضي محمد بن عباد بأشبيلية فقد كانت أكبر دولة في دول ملوك الطوائف ، وقد حاول **المعتمد بن عباد** أن يلم الشمل ويعيد القوة من جديد للمسلمين في الأندلس في مواجهة تنامي قوة النصارى الأسبان إلا أنه فشل . ولما رأى ملوك الطوائف يستعينون بالنصارى ضد بعضهم البعض قال لهم كلمته المشهورة : " **لأن أرعى الجمال في صحراء العرب .. خير من أن أرعى الخنازير في قشتالة** " .

---

٢ وهو حال (معظم) نظم الحكم ــ بالضبط ــ في المنطقة العربية في الوقت الحاضر (٢٣ دولة عربية) .

ولنترك الإمام ابن حزم الأندلسي وقد عاصر هذا العهد ورأى ما كان عليه ملوك الطوائف فكتب بقلمه اللاذع يقول :

" **والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية أمورهم لبادروا إليها فنحن نراهم يستمدون النصارى فيمكنونهم من حرم المسلمين وأبنائهم ورجالهم يحملونهم أسارى إلى بلادهم وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعاً فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس لعن الله جميعهم وسلط عليهم سيفاً من سيوفه** " ..

وما أشبه اليوم بالبارحة ؛ فقد أضحت دولة الإسلام الواحدة ــ في الوقت الحاضر ــ **سبعاً وثمانين دولة** ما بين ملكية وجمهورية وإمارة ومشيخة ومستعمرة ، يحتاج من يريد زيـــارتها ــ إن استطاع وسُمِح له ــ إلى عشرات من تأشيرات الدخول ومئات العراقيل وآلاف العقبات ، وأصبح المسلم في دار الإسلام غريباً ..!!! بينما كان المسلمون في أيام عزهم ، ينتقلون لطلب العلم والرزق من **تركستان الشرقية** (إقليم سيكيانج الصيني ، أنظر نهاية الملحق الرابع) شرقاً إلى الأندلس غرباً ، إلى سيبيريا شمالاً ، إلى المحيط جنوباً ، بدون جوازات سفر ، ولا تأشيرات دخول وبغير حدود ولا سدود ..!!!

• دولة المرابطين في الأندلس (٤٨٤ ــ ٥٤٠ هـــ) ..

تأسست دولة المرابطين في المغرب الأقصى (موريتانيا) سنة ٤٥٣ هـــ بزعامة **يوسف بن تاشفين اللمتوني** [٣] (نسبة إلى قبيلة لمتونة البربرية) وكان رجالها يشدون اللثام (النقاب) على وجوههم فعرفوا بالملثمين .

وفي عام ٤٧٧هـــ استولى ألفونسو السادس ملك (قشتالة) على **طليطلة** واستخلصها من بني ذي النون (أنظر جدول رقم ٣ السابق) ، وعقد حلفاً مع ملوك الأقاليم المسيحية للاستيلاء على **اشبيلية** ، فاستنجد أميرها **المعتمد بن عباد** ، **بيوسف بن تاشفين** الذي اجتاز البحر إلى الأندلس على رأس جيوش من البربر وتمكن من هزيمة الملك الإسباني في موقعة شهيرة جرت في سهل " **الزلاقة** " في يوم ١٢ رجب سنة ٤٧٩ هـــ . وبعد هذه الموقعة أخذ المرابطون يستولون على

---

٣ أسس مدينة مراكش سنة ٤٦٥ هـــ .

دول الطوائف واحدة بعد أخرى وينفون ملوكها إلى المغرب الأقصى وأقاموا في الأندلس دولة للمرابطين عاصمتها **قرطبة** .

وبعد وفاة يوسف بن تاشفين سنة (٥٠٠ هـ) خلفه ملوك من أبنائه فيهم المنصرف إلى لهوه وفيهم الفتى الماجن وفيهم الحدث القاصر ، ولم يخل الأمر من نزاع بينهم فأخذت الدولة في الانهيار وطمع بها الموحدون فاستولوا عليها سنة ٥٤١ هـ في عهد آخر ملوكها إسحاق بن علي بن تاشفين حفيد يوسف بن تاشفين .

• دولة الموحدين في الأندلس (٥٤١ ـ ٦٣٣ هـ) ..

تنسب دولة الموحدين إلى " **محمد بن تومرت** " ، من قبيلة (زناتة البربرية) وموطنها في الجنوب الشرقي من المغرب الأقصى . ادعى ابن تومرت المهدية ودعا إلى مذهب التوحيد فعرف أصحابه بالموحدين [٤] وتلقب بالمهدي . ولما توفي سنة ٥٢٤ هـ خلفه في دعوته تلميذه المقرب إليه **عبد المؤمن بن علي** ، فأخذ يغير على المرابطين وتمكن في عام ٥٤١ هـ من الاستيلاء على مدينة " مراكش " وأزال دولة المرابطين في المغرب الأقصى وأقام دولة الموحدين .

اشتدت قوة الموحدين في عهد **ابنه أبي يعقوب يوسف الأول** . ففي عام ٥٦٧ هـ اجتاز البحر إلى الأندلس وأخضع بها من ظل مواليا للمرابطين . ولما توفي سنة ٥٨٠ هـ خلفه ابنه **أبو يوسف يعقوب (المنصور)** وفي عهده بلغت دولة الموحدين أوجها في العز والمنعة ، فقد اجتاز البحر إلى الأندلس عدة مرات صد فيها عدوان الإسبان وكان آخرها عام ٥٩١ هـ في الوقعة التي هزم فيها ألفونسو الثامن هزيمة منكرة وعرفت بموقعة " **الأرك** " وأحيا فيها ذكرى موقعة **الزلاقة** التي جرت من قبل عام ٤٧٩ هـ .

ولما توفي أبو يوسف يعقوب (المنصور) سنة ٥٩٥ هـ خلفه ابنه الناصر لدين الله محمد وفي عهده أخذت دولة الموحدين في الانهيار ، فقد اشتبك مع الإسبان في معارك هزم فيها وكان أشدها وقعا تلك التي جرت سنة ٦٠٩ هـ (١٢١٣م) والتي عرفت بموقعة " **العقاب** " .

---

٤ سموا أنفسهم بالموحدين لاعتقادهم أنهم هم المؤمنون حقاً الذين يوحدون الله عز وجل التوحيد الصحيح وأن ما سواهم هو ضال ومبتدع . وكانت عقيدتهم هي خليط من الاعتزال والجهمية ونفي الصفات مع شيوع البدع المنكرة عندهم .. لذلك فقد كانوا أضل الناس في باب العقائد ولكنهم ركبوا أسباب النجاح والتمكين والقوة فكان لهم ما سعوا لحكمة لا يعلمها إلا الله عز وجل وحده .

• دولة بني الأحمر (٦٣٦ ــ ٨٩٧ هـ) ..

عقب الانهيار المروع لدولة الموحدين بالأندلس في **موقعة العقاب** أخذ الصليبيون في الاستيلاء على قواعد الأندلس الكبيرة ومدنها العريقة الواحدة تلو الأخرى : إشبيليه سنة ٦٤٦هـ / بطليوس ٦٢٦هـ / بلنسية ٦٣٦هـ / بياسة ٦٢٥هـ / جيان ٦٤٤هـ / قلعة جابر ٦٤٥هـ / شاطبة ٦٤٧هـ / قرطبة ٦٣٣هـ / قرطاجنة ٦٤٠هـ / مرسية ٦٤١هـ / ميورقة ٦٣٠هـ ، وفقدت دولة الإسلام بالأندلس معظم قواعدها التالدة في نحو ثلاثين عاما فقط .. في وابل مروع من الفتن والملاحم .

بعد هذا الانفراط المروع لعقد الدولة انحازت دولة الإسلام في الأندلس إلى الجنوب وتحديدا في مملكة غرناطة وفكر عدد من زعماء المسلمين في كيفية تثبيت الوجود الإسلامي بالأندلس والمنحصر في مملكة غرناطة وبالفعل نجحوا في ذلك واستمرت مملكة غرناطة قائمة ومتحدية للضغوط الأسبانية المتعاقبة ويرجع صمود مملكة غرناطة لهذه الفترة الطويلة من الزمان (٦٣٦ ــ ٨٩٧ هـ) لعدة عوامل منها ..

١ - وجود قيادة قوية ومحكمة من ملوك بني الأحمر وكان أولهم **محمد بن يوسف النصري المعروف بابن الأحمر** ويرجع أصله إلى الأنصار وبالتحديد سعد بن عبادة رضي الله عنه وكان محمد بن يوسف أول من أنشأ دولة غرناطة وقد استمر الملك في سلالة بني الأحمر حتى سقوط غرناطة وكان الرعيل الأول منهم على مستوى المسئولية ووصلت لأوج قوتها حتى عهد محمد الخامس سنة ٧٦٣هـ (١٣٦٢م) وبعد موتـــه لم يكن خلفاؤه على نفس المستوى فبدأت المملكة في الاندحار .

٢- التجاء كثير من المسلمين في الأندلس إلى مملكة غرناطة والتي كانت تمثل دار الإسلام وقتها بعد ان سقطت مدنهم الأصلية في يد الصليبيين وقد انحاز هؤلاء لغرناطة وهم موتورون حانقون على الصليبيين وكان منهم العلماء والأدباء والصناع والزراع وأرباب المهن والحرف فعمرت بهم غرناطة عمرانا حافلا فلم يبق شبر من أرضها إلا استغل أحسن استغلال **حتى وصل عدد المسلمين بتلك المملكة حوالي ستة ملايين مسلم وهو عدد ضخم .**

٣- مساعدة ملوك دول المغرب العربي لإخوانهم الأندلسيين وخاصة ملوك الحفصيين وملوك

بني مرين وكلاهما قد قاما بوراثة دولة الموحدين وكان ملوك بني مرين خصوصا يكثرون من إرسال المساعدات الحربية والجيوش لنصرة مسلمي الأندلس كلما ضغط الصليبيون على غرناطة .

٤- حالة الصراعات الداخلية والتفكك الذي ساد ممالك أسبانيا النصرانية في هذه الفترة من الزمان حيث سادت الانقسامات داخل مملكة قشتالة أكبر ممالك أسبانيا النصرانية ودخلت في صراعات دموية مع مملكة ليون وأراجون ، وهذه الصراعات قد ساعدت مملكة غرناطة على تثبيت أركانها وتقوية قواعدها والتفرغ للعمران والبناء وربما التوسع في بعض الأحيان .

استمر وضع مملكة غرناطة ثابتا ومستقرا لفترة طويلة حتى بدأت أسباب القوة والاستمرار التي ساعدت على قيام المملكة وقوتها في الزوال شيئا فشيئا فترك ملوك بني مرين المغاربة نصرة مسلمي الأندلس لانشغالهم بالحروب الداخلية مع الخارجين عليهم بالمغرب .

وبدأ الصليبيون في توحيد رايتهم واجتمعت مملكة ليون وقشتالة تحت راية واحدة بعد أن تزوج فرديناند ملك ليون وأراجون ، إيزابيلا ملكة قشتالة .. وأعلنوا قيام تحالف قوي ضد المسلمين وفي نفس الفترة لم يكن ملوك بني الأحمر على مستوى خطورة المرحلة فانشغلوا بالصراعات الداخلية على الملك حتى أن معظمهم قد قتل في الصراع على الملك والأدهى من ذلك أن الترف واللين والتنعم قد استشرى في الشعب الغرناطي وتفرغوا لسفاسف الأمور وانتشر الفسق مرة أخرى .. وكان كل هذا ينذر بقرب السقوط ..!!!

وفي عام (٨٩٢ هـ) تولى الحكم : **أبو عبد الله محمد بن نصر** آخر ملوك المسلمين في الأندلس ، ويرجع بعض المؤرخين من عوامل سقوط الأندلس إلى خيانة هذا الحاكم الذي باع كل المثل من أجل أطماع شخصية فحارب أباه من أجل الملك لأنه أحس أن الأب يؤثر أخاه **محمد بن سعد** (المعروف بالزغل) عليه ، وبينما اتحد النصارى الإسبان حدثت الخلافات والانشقاقات بين الأخوين . ولما تولى محمد بن سعد الحكم قام أخوه **أبو عبد الله** بالتعاون مع الحاكم الصليبي فرديناند لإسقاطه حتى تم النصر للنصارى الإسبان علي أخيه ..!!! ثم توجهوا إليه ـ بعد ذلك ـ وسلبوا منه ملكه الذي ضيعه بخيانته ..!!!

وسقطت غرناطة في ٢١محرم سنة ٨٩٧ هـ (١٤٩٢م) كآخر معقل للإسلام في الأندلس . وعقد آخر **ملوك غرناطة أبو عبد الله محمد بن نصر** معاهدة التسليم مع الصليبيين

وهي مكونة من سبعة وستين شرطاً منها تأمين المسلمين على دينهم وأموالهم وعقيدتهم وحرياتهم ، ولم يتم تنفيذ شيء من هذه المعاهدة ..!!! وكان آخر العهد بأبي عبد الله أن وقف بسفح جبل الريحان حيث سلم فرديناند وإيزابيلا مفاتيح المدينة وهو يبكي على ملكه الضائع ..!! هنا قالت له أمه عائشة الحرة المقولة الشهيرة :

" **إبك مثل النساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال** " .

وغداة سقوط الأندلس بدأت شواطئ المغرب العربي تتعرض لإعتداءات الإسبان والبرتغاليين بدافع الثأر من المسلمين الذين أناروا للغرب ــ الهمج ــ الطريق بحضارة الإسلام العظيمة في الأندلس . وأثناء هذه الحملات الصليبية التي كان يتعرض لها المغرب العربي على مدى مئات السنين ، كانت الخلافة العثمانية في إسطنبول (دار السلام) في أوج قوتها ، وشرعت في توسيع رقعتها باتجاه الأقاليم العربية والإسلامية ، واستغاث حينها ولاة المغرب العربي بالخلافة العثمانية التي أمرت أسطولها البحري في البحر الأبيض المتوسط بالتوجه إلى السواحل المغربية وتوفير الحماية للمسلين في هذه المنطقة . **وبموجب هذا أصبحت دول المغرب العربي فعليّا تحت الوصاية العثمانية وذلك بدءا من عام ١٥١٥ ميلادي وإلى غاية ١٨٣٠م ، تاريخ احتلال فرنسا للجزائر وبقية الدول المغاربية في وقت لاحق .**

• محاكم التفتيش ..

في الواقع ؛ تمثل محاكم التفتيش أحد أسوأ فصول التاريخ الغربي دموية تجاه المسلمين ولذلك كان من الطبيعي ألا يتوقف المؤرخون والمستشرقون الغربيون عندها إلا نادراً في محاولة منهم لتجاوز وقائعها السوداء ، بل نجدهم في حالات أخرى كثيرة يحاولون وضع التبريرات لها بادعاء أنها كانت أخطاء غير مقصودة ارتكبها القساوسة في محاولتهم للحفاظ على المسيحية بعد خروج المسلمين من الأندلس ..!!! فعلى سبيل المثال ؛ نجد المستشرق البريطاني (وول سميث) [٥] يعلن أن الكنيسة ليست مسؤولة مباشرة عن الجرائم التي ارتكبت عبر محاكم التفتيش ، ولكن كان على رجال الدين المسيحي في إسبانيا أن يخوضوا معركة ضد الوجود الإسلامي بعد خروج العرب من اسبانيا فاضطروا إلى محاكم التفتيش التي تمادى القائمون عليها في تصرفاتهم فيما بعد . وهكذا عند (سميث) وغيره من المؤرخين

---

٥ " تاريخ أوروبا في العصور الوسطى " ؛ وول سميث . دار الحقائق بيروت ١٩٨٠م . و " محاكم التفتيش .. من ينصف المسلمين من جرائمها ؟ " ، عبد الرحمن حمادي . من منشورات الإنترنت .

والمستشرقين النصارى تتحول محاكم التفتيش إلى (خطأ) غير مقصود له تبريراته ، بل يصير الإسلام عندهم هو المسؤول عن تلك المحـــاكم [٦] ؛ لأنـــه دفع بالمسيحيين إلى استنباط محاكم التفتيش ليصدوا تمدده في الغرب ..!!!

وقد بدأت محاكم التفتيش مباشرة عقب سقوط مدينة غرناطة ــ آخر مدينة إسلامية ــ بيد الأسبان . فقد كانت غرناطة ــ أجمل مدن جنوب إسبانيا ــ عاصمة بني زيري من ملوك الطوائف ، ثم عاصمة بني الأحمر . فقبل سقوط غرناطة استطاع الأسبان حصارها ، وأرسل فرديناند ملك إسبانيا رسله إلى قادة غرناطة المسلمة يطلب منهم الاستسلام فرفضوا ، فنزل جيش إسباني مكوّن من (٢٥) ألف جندي ، واتجهوا صوب المزارع والحدائق وخرّبوها عن آخرها ؛ حتى لا يجد المسلمون ما يأكلونه أو يقتاتون عليه ، ثم جهزت ملكة إسبانيا جيشاً آخر من (٥٠٠) ألف مقاتل لقتال المسلمين في القلاع والحصون الباقية . وبعد قتال طويل اجتمع العلماء والفقهاء في قصر الحمراء واتفقوا على الاستسلام ، واختاروا الوزير **أبا القاسم عبد الملك** لمفاوضة ملك أسبانيا فرديناند .

- **معاهدة التسليم ..**

انتهى **الوزير أبو القاسم** ؛ إلى إبرام معاهدة تنص على أن يسلم حكام غرناطة المدينة للأسبان لقاء ضمان خروج الحكام بأموالهم إلى إفريقيا ، كما تضمنت المعاهدة ثمانية وستين بنداً منها :

- **تأمين الصغير والكبير على النفس والمال والأهل .**
- **وإبقاء الناس في أماكنهم ودورهم وعقارهم .**
- **وأن تبقى لهم شريعتهم يتقاضون فيها .**
- **وأن تبقى لهم مساجدهم وأوقافهم .**
- **وألا يدخل الكاثوليك دار مسلم ، وألا يغصبوا أحداً ، وألا يولى على المسلمين إلا مسلم ، وأن يُطلق سراح جميع الأسرى المسلمين ، وألا يؤخذ أحد بذنب غيره ؛ وألا يُرغم من أسلم من الكاثوليك على العودة إلى دينه . وألا يعاقب أحد على ما وقع ضد الكاثوليكية في زمن الحرب وألا يدخل الجنود الأسبان إلى المساجد .**

---

٦ وهو نفس المنطق الإرهابي الذي استند إليه الرجل الغربي عند قيامه بإبادة الهندي الأمريكي . حيث يجذب السياق نفسه " فرانسيس ياركين " أشهر مؤرخ أمريكي في عصره فيقول : (أن الهندى الأمريكي نفسه ــ في الواقع ــ هو المسئول عن الدمار الذى لحق به لأنه لم يتعلم الحضارة ولابد له من الزوال .. والأمر يستحق) .

- **ولا يلزم المسلم بوضع علامة مميزة ، ولا يمنع مؤذن ولا مصل ولا صائم من أمور دينه ..**

وقد وقع على المعاهدة الملك الإسباني وبابا روما اينوسنت الثامن (١٤٨٤-١٤٩٢م) ، وأعقبه ألكسندر السادس (١٤٩٢-١٥٠٣م) ، وكان التوقيعان كافيين لكي تكون المعاهدة ضمانة للمسلمين في إسبانيا (ولكن متى كان للمسيحيين أو اليهود وعد ..!!!) ، وبناء على هذه المعاهدة خرج **أبوعبد الله ابن أبي الحسن ملك غرناطة** صباح يوم (٢/ ١ / ١٤٩٢م) ، من قصر الحمراء وهو يبكي كالنساء حاملاً مفاتيح مدينته وملكه الزائل فاعطاها للملكة ايزابيلا وزوجها فرديناند لتقول له أمه عائشة الحرة المقولة الشهيرة : " ابك مثل النساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال " ..!!

- **نقض المعاهدة ..**

وفور دخول الإسبان إلى غرناطة نقضوا المعاهدة التي أبرموها مع حكامها المسلمين ؛ إذ كان أول عمل قام به **الكاردينال مندوسي** عند دخول الحمراء هو تنصيب الصليب فوق أعلى أبراجها ، وترتيل صلاة الحمد الكاثوليكية ، وبعد أيام عدة أرسل أسقف غرناطة رسالة عاجلة للملك الإسباني يعلمه فيها أنه قد أخذ على عاتقه حمل المسلمين في غرناطة وغيرها من مدن اسبانيا على أن يصبحوا كاثوليكا ؛ وذلك تنفيذا لرغبة السيد المسيح عليه السلام الذي ظهر له وأمره بذلك كما ادّعى ، فأقره الملك على أن يفعل ما يشاء لتنفيذ رغبة السيد المسيح عليه السلام ، عندها بادر الأسقف إلى احتلال المساجد ومصادرة أوقافها ، وأمر بتحويل المسجد الجامع في غرناطة إلى كنيسة ، فثار المسلمون هناك دفاعا عن مساجدهم ، لكن ثورتهم قمعت بوحشية مطلقة ، **وتم اعدام مئتين من العلماء المسلمين حرقاً في الساحة الرئيسة بتهمة مقاومة المسيحية .**

- **إبادة المسلمين .. ومحو الإسلام من الأندلس ..**

ظهرت محاكم التفتيش تبحث عن كل مسلم لتحاكمه على عدم تنصره أو تحرقه إذا رفض التنصير ..!!! (وأرجو مقارنة هذا مع تعاليم الإسلام العظيم والتسامح الديني الذي تفرضه تعاليم الدين العظيم) . هام المسلمون على وجوههم في الجبال ، وأصدرت محاكم التفتيش الإسبانية تعليماتها للكاردينال (سيسزوس) لتنصير بقية المسلمين في أسبانيا ، **والعمل السريع**

على إجبارهم على أن يكونوا نصارى ، وأحرقت المصاحف ، وكتب التفسير ، والحديث ، والفقه ، والعقيدة ، وكانت محاكم تفتيش ــ مسيحية المحبة ــ تصدر أحكاماً بحرق المسلمين على أعواد الحطب وهم أحياء في ساحات مدينة غرناطة أمام الناس ..!!!

وبكل أسف ؛ لم يكن هذا بمستغرب ــ مع هؤلاء المعاتيه أصحاب الديانات الوثنية ــ فالحق ــ تبارك وتعالى ــ ينبه المسلمين إلى كل هذا في كتابه العزيز .. بقوله تعالى :

﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨) اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٩) لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠) فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ (١٢) ﴾

(القران المجيد : التوبة {٩} : ٨ – ١٢)

[(كيف) : يكون لهم عهد / (وإن يظهروا عليكم) : يظفروا بكم / (لا يرقبوا فيكم إلا) : لن يراعوا فيكم عهدا لو ظهروا عليكم (أي لو ظهر ــ المشركين ــ على المسلمين وأديلوا عليهم فلن يبقوا ولن يذروا) / (ولا ذمة) : عهداً / (يرضونكم بأفواههم) بكلامهم الحسن / (وتأبى قلوبهم) الوفاء به (وأكثرهم فاسقون) ناقضون للعهد . كما تقطع الآية الكريمة التاسعة بشرك أهل الكتاب (كما يدل هذا من سياق الحدث للنص القرآني) . وكذلك تقطع هذه الآية الكريمة بالمتاجرة بالدين .. وبتحريف نصوص الكتب المقدسة السابقة على الإسلام .. لأنها تنتهي بالصد عن سبيل الله ..!!! / (وقاتلوا أئمة الكفر) : ويشمل هذا أيضا المواجهة الفكرية معهم ــ أولا ــ لعلهم ينتهون]

ثم صدر مرسوم بتحويل جميع المساجد إلى كنائس ، وفي يوم (١٢ /١٠ / ١٥٠١م) ، صدر مرسوم أخر بإحراق جميع الكتب الإسلامية والعربية ، فأحرقت الاف الكتب في ساحة الرملة بغرناطة ، ثم تتابع حرق الكتب في جميع المدن والقرى ..!!! ثم جاءت الخطوة التالية ، عندما أعلن الكاردينال (خيمينيث) أن المعاهدة التي تم توقيعها مع حكام غرناطة لم تعد صالحة أو موجودة ، وأعطى أوامره بتنصير جميع المسلمين في غرناطة دون الأخذ برأيهم ، أو حتى تتاح لهم فرصة التعرف على الدين الجديد الذي يساقون إليه ، ومن يرفض منهم عليه أن يختار أحد أمرين :

- إما أن يغادر غرناطة إلى أفريقيا دون أن يحمل معه أي شيء من أمواله ، ودون راحلة يركبها هو أو أحد أفراد أسرته من النساء والأطفال ، بعد أن يشهد مصادرة أمواله .
- وإما أن يُعدم علنا في ساحات غرناطة باعتباره رافضا للنصرانية .

كان من الطبيعي أن يختار عدد كبير من أهالي غرناطة الهجرة بدينهم وعقائدهم ، فخرج قسم منهم تاركين أموالهم سيرا على الأقدام ، غير عابئين بمشاق الطرقات ، ومجاهل وأخطار السفر إلى أفريقيا من دون مال أو راحلة ، وبعد خروجهم من غرناطة كانت تنتظرهم عصابات الرعاع الإسبانية والجنود الأسبان ، فهاجموهم وقتلوا معظمهم . وأن من نجوا بحياتهم كانت خاتمتهم أنهم أصبحوا عبيدا في السفن ..!!! وكان الذين ينتظرون الصعود إلى السفينة جوعى يجبرون على بيع أطفالهم مقابل الحصول على الخبز ، حيث كانت السياسة الرسمية للكنيسة هي فصل الأطفال المسلمين عن والديهم ، وبيعهم للأديرة لخدمة الرهبان والأساقفة فيها ..!!!

وأقر علماء اللاهوت في الوثيقة الموقعة في تموز/ يوليو عام ١٦١٠ ، بأن الرق لم يبرر أخلاقيا فحسب ، بل هو مجد من الناحية الروحية . فبفصل الأطفال المسلمين عن آبائهم .. وبعد إدخالهم في المسيحية .. يصبح من غير المحتمل أن يرتدوا عنها . كما وأن العبيد نادرا ما يتزوجون ، فيصبح هذا منهاجا اخر للتخلص من " **العرق المسلم الشرير** " في إسبانيا ..!!! وهو العرق الذي حمل شعلة النور والهداية على مدار ثمانية قرون لهؤلاء الهمج .. في الفترة التي كانت فيها أوربا تزرخ تحت نير عصور الظلام ..!!! ولم يضيع نور الإسلام ــ بكل أسف ــ إلا **الحكام المسلمين الذين لا يستحقون إلا الوضع تحت الأحذية .. على مدار التاريخ ..!!!**

وعندما سمع الاخرون في غرناطة عما نال إخوانهم .. اثروا البقاء بعد أن أدركوا أن خروجهم من إسبانيا يعني قتلهم ، وبالتالي سيقوا في قوافل للتنصير والتعميد كرهاً ، ومن كان يكتشفه الأسبان أنه قد تهرب من التعميد تتم مصادرة أمواله وإعدامه علناً ، وقد فرّ عدد كبير من المسلمين الذين رفضوا التعميد إلى الجبال المحيطة في غرناطة محتمين في مغاورها وشعابها الوعرة ، وأقاموا فيها لفترات ، وأنشأوا قرى عربية مسلمة . لكن الملك الإسباني بنفسه كان يشرف على الحملات العسكرية الكبيرة التي كان يوجهها إلى الجبال ، حيث كانت تلك القرى تهدم ويُساق أهلها إلى الحرق أو التمثيل بهم وهم أحيـــاء في الساحات العامـــة في غرناطة ..!!!

ومن أشهر مفتشي محاكم التفتيش فى أسبانيا كان " **توماس الطرقماوى** " ، الذى إستمر فى منصبه لمدة خمسة عشر عاما ، وكان له (١١٤,٠٠٠) ضحية تم إحراق (١٠,٢٢٠) منهم ..!!! وهكذا ؛ استمرت هذه الحملة الظالمة على المسلمين حتى سنة : ١٥٧٧م ــ على حد زعم المؤرخين ــ بينما حقيقة الأمر انها امتدت بعد هذا التاريخ بكثير .. وراح ضحيتها حسب بعض المؤرخين الغربيين ملايين المسلمين .. **فيروي مؤرخ محاكم التفتيش** [٧] : " **ليكي** "..

[.. في السادس عشر من شهر فبراير من عام ١٥٦٨ أصدر الديوان المقدس ــ للكنيسة الرومانية الكاثوليكية ــ قرارا بإدانة جميع سكان الأراضي الواطئة (الأندلس) والحكم عليهم بالإعدام متهمين بالهرطقة (أي مخالفة الدين المسيحي) واستثنى القرار بضعة أفراد نص القرار على أسمائهم ..!!! وبعد عشرة أيام أعلن الملك " فيليب الثاني : Philip II " ملك أسبانيا (الذي تربى تربية دينية صارمة على يد رجال الدين الكاثوليك .. وابن الإمبراطور الروماني المقدس : شارلز الخامس : V Charles) صحة القرار وأمر بتنفيذه في الحال . فسيق إلى المقصلة ملايين من الرجال والنساء والأطفال ..]

وفي غضون عدة أعوام .. اندثر من على وجه البسيطة شعب الأندلس المسلم تماما .. ثمانية ملايين مسلم (وفي مصادر أخرى ستة ملايين مسلم) أبيدوا بالكامل ــ في غضون أعوام قليلة ــ لم يبق منهم مسلم واحد كما لم يبق منهم ناطق واحـد باللغة العربية .. بعد حضارة أضاءت لأوربا الطريق على مدى ثمانمائة عام ..!!! كما تم تدمير المساجد بطريقة وحشية ولم يبق منها إلا ما كان يصلح لأن يحول إلى كنيسة ..!!!

بل ولم يتوقف مطاردة رجال الكنيسة للمسلمين بالشبهة .. والقيام بتعذيبهم وإبادتهم .. **فعندما غزا نابليون أسبانيا عام ١٨٠٨ ، إعتصم القساوسة الدومينيكان** [٨] **بديرهم فى مدريد وعندما إقتحمه نابليون عثوة أنكر الدومينيكان وجود أى حجرات للتعذيب ، ولكن عند البحث والتنقيب وجدها جنود نابليون تحت الأرض مليئة بالمساجين المسلمين وكلهم عرايا وكثير منهم معتوه من فرط التعذيب ..!!!** ورغم أن القوات الفرنسية لم تكن تتميز برقة الشعور إلا

---

٧ " قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام " . د. توفيق الطويل . الزهراء للإعلام العربي . ص : ٨٨ وعن : موسوعة الإنكارتا الإلكترنية ١٩٩٧ .

٨ الدومينيكانية : هى رهبنة أسسها القديس دومينيك عام ١٢١٥ . ويلقب المنخرطون فيها باسم " الأخوة الوعاظ " . وقد بدأت نشاطها أول ما بدأته فى مدينة تولوز بفرنسا ، وكانت أول رهبنة كاثوليكية أخذت على عاتقها التبشير بالعقيدة المسيحية . وقد تميز الدومينيكانيون الأولون بثقافة تخطت اللاهوت إلى محاولة للتوفيق بين اللاهوت والفلسفة .

أن هذا المنظر قد أثار شعور جنودها ، فأخرجوا المساجين وفجروا الدير بأكمله . فهذه هي مسيحية المحبة كما يدعي أصحابها ..!!! وقد وجد الجنود ــ في هذا الدير ــ صنوفا من آلات التعذيب ، مما لا يخطر على فكر الشياطين وليس البشر ..!!!

لقد استمر حكم المسلمين للأندلس حوالي (٨٠٠ عام) من دون انقطاع ، وكان التسامح الديني هو سمة الحكم الإسلامي . وكان مقدرا أن يقود المسلمون هذا العالم الوثني نحو السعادة المنشودة ، لولا افتتان **الأنظمة الحاكمة** بالدنيا ونعيمها الزائل ، وتحالفهم مع الأعداء وموالاتهم ضد إخوانهم المسلمين والثقة في الواشين ، وتقريب الأعداء ، والاستعانة بهم في القضاء على إخوانهم في الدين كل هذه الأسباب عجّلت بانهيار الدولة الإسلامية في الأندلس ، وأضاعت هذ الأنظمة أرضاً إسلامية فتحت من قبل على جثث وجماجم المقاتلين الشهداء من المسلمين العظام الذين أرادوا إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، دون ملل أو كلل ، حتى سطع نور الإسلام ثمانية قرون على هذه الأرض .. لتنتهي على أيدي هؤلاء الحكام القراصنة الكلاب ــ طلاب المتعة والسلطة بأي ثمن ــ إلى لا شيء ..!!!

وما أشبه اليوم بالبارحة ؛ فإذا كان يمكننا القول **بأن قراصنة أو حكام الأمس** ربما كانوا جهلة .. وربما كانت تنقصهم الرؤية الشاملة ؛ فإن **قراصنة اليوم** ، يسعون ــ عن علم ــ إلى الدنيا ونعيمها الزائل وأصبحت السلطة لديهم سعارا يريدون الاحتفاظ بها بأي ثمن .. حتى وإن كان هذا الثمن هو إبادة المسلمين .. ومحو الإسلام من الوجود ..!!! وربما كان هذا هو تحالف الشيطان معهم لهذا الغرض ..!!!

* * * * * * * * * *